نشرة شهرية ثقافية اقتصادية ليبرالية تصدرها جمعية النداء الجديد

النداء الجديد

العدد الثالث والاربعون - نوفمبر ١٩٩٧ حرية - عدالة - عقلانية

قانون الايجارات الزراعية:

المجتمع الاهلى يتفوق على الجماعة السياسية

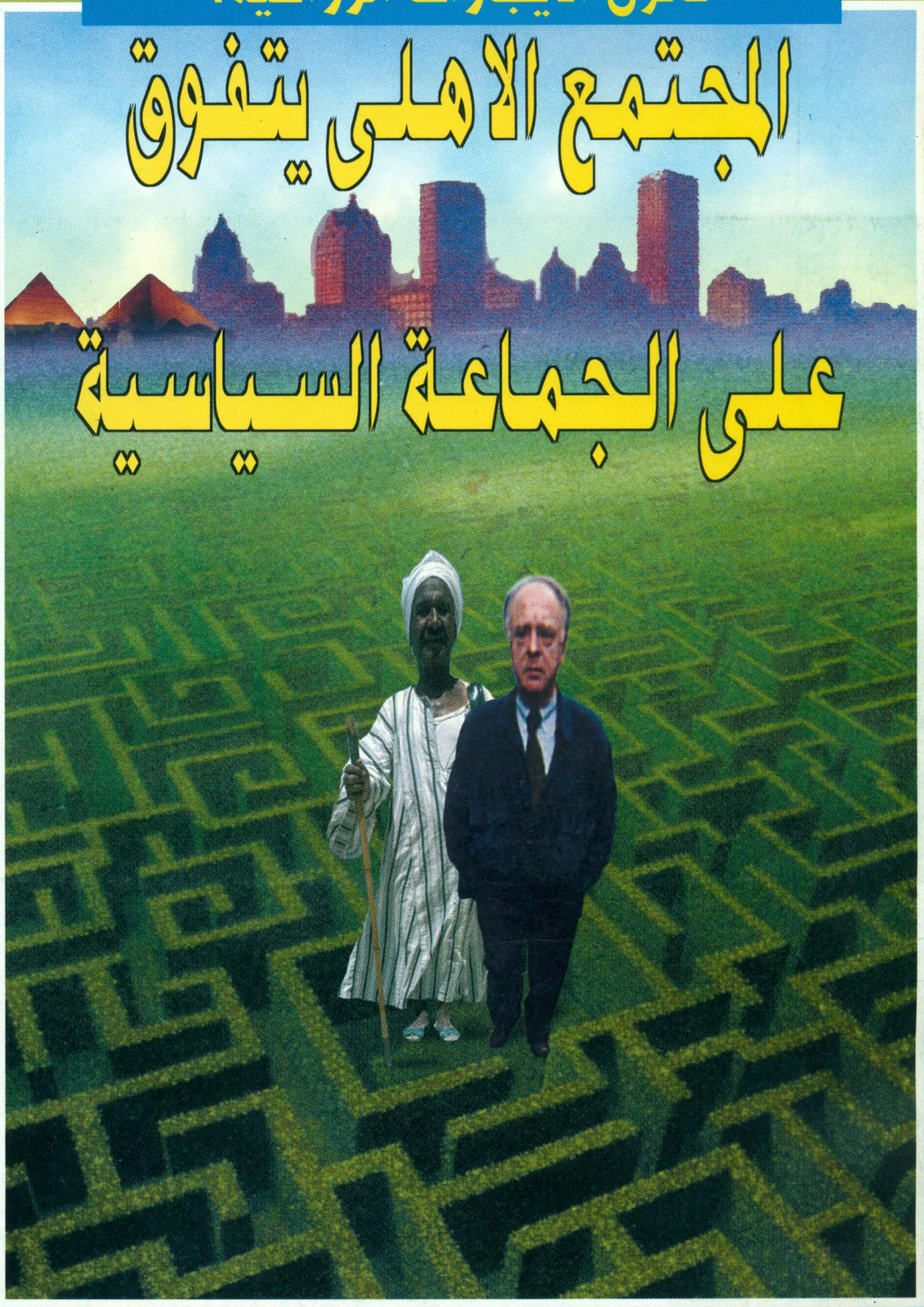

- العلاقة بين الفساد والارهاب: حادث السياح الألمان نموذجاً
- الاستبداد يبدأ من الأسرة: بين الاب والحاكم
- أوبرا عايدة: الموسيقى الغربية مازالت معزولة

النداء الجديد
نوفمبر ١٩٩٧
رئيس مجلس الإدارة : د. سعيد النجار رئيس التحرير : د. وحيد عبد المجيد
مستشارو التحرير : د. حازم الببلاوى ـ د. أسامة الغزالى حرب ـ أ. محمود أباظة ـ د. شريف لطفى
العنوان : ١٤ شارع عبد الحميد لطفى ـ مدينة المهندسين / ت :٣٣٧٤٢١٣

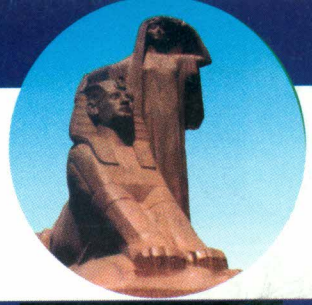

رؤى ليبرالية

"شهادة براءة" لجائزة نوبل

ربما لم تتعرض جائزة دولية لهجوم وتشكيك فى دوافع منحها، وفى من يحصلون عليها، مثل جائزة نوبل للآداب التى تمنحها الأكاديمية الملكية السويدية. ومن منا لايذكر الحملة ضد أديبنا الكبير نجيب محفوظ، ومازال، حين حصل على هذه الجائزة. فقد تعرض لإتهامات صريحة أو ضمنية بأن يهودا أو صهاينة، أو اشراراً بوجه عام، هم الذين وقفوا وراء حصوله على الجائزة.

وهناك اعتقاد واسع لدى كثيرين من العرب فى أن جائزة نوبل هذه لاتمنح إلا لمن يخدم مصالح "أعدائنا" فى الغرب، أو يحظى برضائهم. وهو اعتقاد يرتبط بشيوع نظرية المؤامرة فى الفكر العربى.

كيف يفسر أصحاب هذه النظرية الآن فوز الكاتب والفنان المسرحى الإيطالى داريو فو بالجائزة عن العام ١٩٩٧، وكيف يرون حيثيات الفوز: (تقديراً لدفاعه عن المظلومين والمضطهدين وانتقاده للسلطات الظالمة فى سبيل إعادة الكرامة إلى الذين انتُهكت حقوقهم).

صحيح أن هناك اعتبارات سياسية تتدخل فى منح الجائزة، من خلال الآلية المتبعة وهى تلقى ترشيحات من نخبة يصل عدد افرادها إلى نحو ألفين، ولكن معظمهم من دول غربية. غير أنه صحيح أيضاً أن الموضوعية تتغلب فى كثير من الأحيان، كما حدث قبل أيام حيث تقرر منح الجائزة إلى أحد أبرز منتقدى الرأسمالية والإمبريالية. إلى كاتب طالما دعا الشباب والعمال والفقراء إلى التمرد.. إلى مثقف يسارى ظل فى معظم فترات حياته أقرب إلى التطرف منه إلى الإعتدال. فكان على يسار الحزب الشيوعى الإيطالى، وكل الأحزاب الماركسية واللينينية.. إلى ناقد شديد اللهجة ضد السياسة الأمريكية منذ حرب فيتنام، وحتى أزمة البوسنة، مروراً بحرب الخليج الثانية.

ومعروف كيف تعرض فو لحصار اعلامى فى بلاده، حيث قاطعة تلفزيون إيطاليا الحكومى، وان لم يتمكن من محاصرة أعماله المبدعة ودوره البارز فى تطوير المسرح السياسى ذى الطابع الفكاهى الساخر ليصير أكثر تأثيراً من البيانات والمنشورات. كما ظل ممنوعا من دخول الولايات المتحدة حتى العام ١٩٨٤. ومع ذلك، هاهى حيثيات منحه الجائزة تقول عنه انه "فتح أعيننا على مفاسد ومظالم المجتمع، وكذلك على المنظور التاريخى العريق الذى يمكن أن توضع فيه". كما تصفه بأن "استقلاله وصفاء رؤيته دفعاه إلى مجازفات خطيرة عانى مباشرة من عواقبها، ولكنها كفلت له فى الوقت نفسه استجابات هائلة فى أوساط عريضة مختلفة".

ومن أبرز أعمال فو مسرحيته "اللغز المضحك"، التى تناولت اختلالات النظام السياسى الإيطالى فى ظل سيطرة الحزب الديمقراطى المسيحى، والصراع بين كبار الصناعيين والعمال، وثورة الشباب فى العام ١٩٦٨.

أما مسرحيته "موت فوضوى بالصدفة" فقد دارت حول واقعة موت أحد أبرز رموز التيار الفوضوى فى إيطاليا (بينيللى)، الذى قفز من مركز شرطة ميلانو أثناء التحقيق معه عقب حوادث تفجير شهدتها مدينتا روما وميلانو فى العام ١٩٦٩. واتهم داريو فو الشرطة بأنها هى التى دفعت بينيلل إلى الإنتحار. وكانت هذه المسرحية محاكمة للوضع السياسى فى إيطاليا خلال الفترة من نهاية الستينات إلى منتصف السبعينات. وفو ليس كاتباً وفناناً فقط، وانما سياسى ملتزم أيضاً. شارك فى نشاطات كثيرة كان أقلها كفيلا بحرمانه من الجائزة فى حال اذا كانت الاعتبارات السياسية وحدها هى التى تتحكم في منحها أو فى منعها. وهو مازال يمارس نشاطا سياسيا حتى الآن، رغم تقدم عمره (٧١ عاماً). وشارك قبل أقل من شهرين فى مظاهرة عمالية حاشدة فى فينيبا ضد "رابطة الشمال" التى تدعو إلى انفصال شمال ايطاليا. والقى زجلاً شعبياً يعبر عن رفض الإنفصال، ويدعو إلى الحافظ على وحدة إيطاليا رغم أنه قضى حياته رافضاً للقومية ومنحازاً إلى "الأممية". وحين صاح: "ينبغى علينا أن نرفع علم إيطاليا"، استدرك قائلاً: "لايوجد أسوأ أو اردأ من كلمات تشيدنا القومى. ولكن علينا أن نردده الآن" فى مواجهة الدعوة الإنفصالية.

واذا كان هناك من اتهم نجيب محفوظ بأن أيدى يهودية أو صهيونية هى التى دفعت إلى منحه الجائزة، فماذا يقول هؤلاء بعد حصول داريو فو عليها، وهو صاحب مسرحية مشهورة دافع فيها عن كفاح الشعب الفلسطينى، وكفاحه المسلح بالذات، عُرضت فى كل أنحاء إيطاليا فى العام ١٩٧٥. والأهم من ذلك أن هذه المسرحية "فدائيين" عبرت عن موقف الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ذات التوجهات اليسارية.

وربما هذا يفسر تعليق واحدة من أقطاب الجالية اليهودية فى إيطاليا، وهى ريتا ليفى حاملة جائزة نوبل للطب، على فوزه بقولها: "هل هو إيطالى؟ من هو داريو فو هذا؟ أنالم أعرفه، ولم أسمع به اطلاقاً". والأكيد انها كذبت حين قالت انها لم تسمع به. يصعب تصور أن أحدا فى إيطاليا لا يعرفه. فمن لم يشاهد أو يقرأ أعماله، عرف عن نشاطاته السياسية، أو سمع بالمحاكمات التى نُصبت له وهو الذى حوكم نحو ٤٠ مرة بموجب شكاوى من جهات عدة اتهمته بالسب والطعن والتطاول وما إلى ذلك. بل لعله الفنان الوحيد فى دولة ديمقراطية الذى صعدت الشرطة إلى خشبة المسرح أثناء العرض واقتادته مقيدا بالاغلال.

والطريف أن داريو فو كان هو نفسه أحد من أعتقدوا فى أن جائزة نوبل لا تمنح إلا لإعتبارات سياسية. وسبق أن هاجمها أكثر من مرة. معتبراً أنها مخصصة لرموز محنطة للثقافة البورجوازية، التى نذر نفسه لمحاربتها. وهو قال ذلك مرة فى العام ١٩٧٥، حين تردد أنه مرشح للجائزة مع آخرين مثل البرتو مورانيا وانيازيو سيلونيه. وأكد وقتها أنه لايمكن أن يحصل على هذه الجائزة.

ولكن ها هو حصل عليها وانتزعها من مواطنيه الذين تنطبق عليهم الإعتبارات السياسية، التى يعتقد كثيرون أنها تتحكم فى منح الجائزة. ألا يقتضى ذلك اعادة النظر فى الأحكام المسبقة؟

د. وحيد عبدالمجيد

KAMEL GRAPHICS